قراءة لغوية فنية
في سينية البحتري

إعداد

عبدالمحسن مطلق علي الحربي

قسم اللغة العربية ـ جامعة الملك عبدالعزيز

المملكة العربية السعودية

المجلد السادس والعشرون للعام ٢٠٢٢م

الجزء الخامس (إصدار ديسمبر)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

قراءة لغوية فنية في سينية البحتري

عبدالمحسن مطلق علي الحربي

قسم اللغة العربية ـ جامعة الملك عبدالعزيز ـ المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني : Mohsen_Elharby@yahoo.com

الملخص

من خلال دراسة سينية البحتري وقراءتها نجد أن الشاعر قد أبدى إعجابه بهذا الصرح فترجم من خلال ذلك ملكة خاصة لا يمتلكها أي أحد إنها ملكة الذوق والإحساس بالجمال وهي فطرة وهبه الله بها فغذّاها بمطالعة روائع الأدب متذوقا ومحاكيا وفي هذه القصيدة نجد أن البحتري قد مثل إحساسه الفريد في وصفه لمعركة انطاكية ووصفه الإيوان وقد أبدع في ذلك من خلال استخدام أساليب متنوعة انتبها فيها لعملية المعادل الموضوعي بينه وبين الإيوان وأخذ يجسد ما لديه من خلال ذلك وقد وقفت هذه القراءة عند التناغم اللفظي والموسيقى الشعرية الداخلية وتوظيف الأفعال الماضوية وعلاقتها بالتركيب النحوي و توكيد المعنى وكذلك الإشارة إلى بعض المقابلات والتنويع بين صيغ الخطاب في القصيدة والوقوف على الصور البيانية الفنية التي تعكس ثقافة وبيئة الشاعر .

الكلمات المفتاحية : قراءة لغوية ، سينية البحتري ، البحتري

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

A technical linguistic reading in Siniya al-Buhturi

Abdul Mohsen Mutlaq Ali Al-Harbi
Department of Arabic Language, King Abdulaziz University, Kingdom of Saudi Arabia.
Email: Mohsen_Elharby@yahoo.com

Abstract

By studying Siniya al-Buhturi and reading it, we find that the poet expressed his admiration for this edifice, so he interpreted through that a special queen that no one possesses. It is the queen of taste and a sense of beauty. In his description of the battle of Antioch and his description of the iwan, he excelled in that through the use of various methods, in which he paid attention to the process of the substantive equivalent between him and the iwan, and began embodying what he had through that. Referring to some interviews and diversifying between the discourse formulas in the poem and standing on artistic graphic images that reflect the culture and environment of the poet.

Keywords: linguistic reading, Siniya al-Buhturi, al-Buhturi..

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين :

تعد سينية البحتري من أشهر قصائد الوصف في الشعر العربي وذلك لما يمثله الموصوف من أهمية بالغة وكذلك قدرة الشاعر وتميزه في شعر الوصف وهو شاعر طائي اسمه الوليد بن عبيدالله ويكنى بأبي عبادة لكنه عرف بلقبه البحتري وذلك نسبة إلى أجداده بحتر .وقد نشأ البحتري ببادية منبج فاتصل بأعرابها ففصح لسانه وتأصلت فيه ملكتهم اللغوية وقد حفظ البحتري من أشعار العرب الكثير وأخذ عن علمائهم النحو وقواعد اللغة فتمثل بثقافة عربية أصيلة ثم التقى بعد ذلك بالخلفاء وتأثر فيهم وفي مجالسهم التي كانت تغص بالثقافات المختلفة ولا سيما الثقافة الفارسية وذلك عن طريق إحضار الموالي وخدم القصور من بلاد الفرس وقد شكل ذالك مزيجا في فكر البحتري بين علوم العربية والعلوم الفارسية ليفيد من ذلك في تكوين ملكاته الشعرية المتوازنة بين الأصالة والجدة .[١]

وفي قصيدته السينية تتمثل لنا شخصية البحتري الاجتماعية والثقافية والعلمية لذك لفتت نظري لدراستها وذلك من خلال تحليل أبياتها وفقا للمناهج التكاملي وذلك على أساس دراسة بنية النص من الجانب اللغوي والتركيب النحوي وكذلك المنهج الذوقي الجمالي وذلك للوقف على مواطن الجمال فيها .

(١) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء، دار المأمون ، القاهرة ، ج١٩، ١٩٢٢م، ص٢٤٩.

تحليل سينية البحتري :

تلتزم قصيدة البحتري الموسومة بالسينية الأصوات التي تتفق في مخارجها وتختلف في دلالاتها وذلك لتمثل حالة الشاعر وتعبر عن عاطفته من خلال تناسب إيقاعي يشتمل على أصوات صفير تشكل مقاطع صوتية متناغمة تناسب المعنى وتتفق مع العاطفة وتطرب السامع . (١)

وقد بدأ البحتري وصفه لإيوان كسرى من خلال اتحاد الإيقاع الداخلي للقصيدة مع الإيقاع الخارجي وبلورته في قالب صياغي يقوم على أساس التناغم اللفظي الناتج عن كيفية تأليف الحروف بحيث تؤدي وظائف نغمية تزيد في موسيقى الشعر ففي قوله :

وكأن الإيوان من عجب الصنعة جوب في جنب أرعن جلس

قد جاءت الصورة في هذا البيت معبرة عن المعنى وذلك بالرسم الموسيقي المنظم والذي يرتكز على توالي الحروف التي تشكل إيقاعا فنيا خاصا تطرب له المسامع وتتضح من خلاله الصورة التي أراد الشاعر أن ينقلها للمتلقي ليشاهد الإيوان وجماله من خلال هذه الألفاظ التي تمكن الشاعر من نسجها لتشكل لوحة فنية مرئية في خيال السامع . وقد أجمع النقاد على أثر الموسيقى والإيقاع الشعري في ربط المعنى بالصورة وكان البحتري وصافا حاذقا لديه القدرة على الجمع بين علاقات الأشياء واستخراج أصباغ فنية مناسبة للتعبير عن أفكاره وذلك ما جعل دلالة الإيقاع عنده تصل إلى درجة من التوازن وذلك بفواصل متعادلة تنم عن قدرة إ بداعية وملكة ذوقية جعلت المتلقي يتفاعل مع إيقاعاته الموسيقية ليصل إلى المعنى ويتفاعل مع الشاعر وكأنه يرى الإيوان . (٢)

وقد جاءت هذه القصيدة على الوزن الخفيف في بحرها وتفعيلاتها وهو :

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

---

(١) ضيف، شوقي ، في النقد الأدبي ، دار المعارف ، مصر ، ط٩، ١٤٢٧هـ، ص٩٧ .

(٢)عياد ، شكري ، موسيقى الشعر العربي ، دار المعرفة ، مصر ، ط٢ ، ١٩٩٨، ص٥٦ .

وقد أسهم تناغم ألفاظ هذه القصيدة في الرفع من مستوى الموسيقى فيها وحقق التوافق الصوتي بين الكلمات وذلك لحسن تصرفه بالمعاني وطرق التعبير عنها بألفاظ تناسبها. ولا سيما أنه شاعر تقليدي يميل إلى استخدام الموسيقى الداخلية في الشعر ثم يلتزم بضبطها بألوان البديع الصوتية التي تنم عن قدرة خيالية في تركيب العبارات . ومن يقرأ قصيدته السينية يجد ذلك ظاهرا فيها حيث تشتمل على أبرز فنون الجمال الشعري ولا سيما الثنائيات التقابلية الضدية وغير الضدية والتي يعتمد عليها في أغلب أبيات هذه القصيدة حيث بدأت هذه القصيدة على أساس الثنائية التقابلية الناشئة عن المقابلة والتي تعد من مزايا أسلوبها حيث قام الشاعر بتوظيف فن المقابلة شكلا ومضمونا وهي خاصية خاصة أبدع فيها في بناء قصيدته فنياً من خلال استخدام بعض العناصر التي ساعدته على ذلك ومنها وضوح السياق القصصي ذي الأفعال الماضية والتي قدمت لمقابلة فنية عالية ترسم شكلا تمثيليا رائعا . (١)

وقد وظف الشاعر الأفعال الماضوية لإثبات ذاته وترفعه فقال صنت نفسي عما يدنس نفسي وهو يوضح ما كان عليه ويؤكد بذلك ثباته على موقف واحد وهو الشموخ وطلب العلا وقد رمز لنفسه بهذا الايون ليحقق المعادل له ثم يوثق العلاقة بين الذات وموضوعها .(٢)ففي البيت الأول يؤكد الشاعر على شموخه واعتزازه بنفسه وذلك من خلال التقابل في قوله صنت ويدنس حيث أتى بالفعل المضارع يدنس مقابلا للفعل الماضي صنت .وكذلك كرر كلمة نفسي وذلك لتوكيد المعنى وتقويته .

---

(١) الإحساس بالجمال ،جورج سانتانا ، ترجمة محمد مصطفى بدوي ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، ١٩٨٤م، ص١٩٤ .

(٢) الشعر العباسي تطوره وقيمه الفنية ، محمد أبو الأنوار ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٩م ، ص٣٨٨ .

وفي القصيدة مقابلة لصورة حركية وذلك في قوله :

وعراك الرجال بين يديه في خفوت منهم وإغماض جرس

حيث جاء بالمقابلة بين لفظي عراك وجرس . وقد جاءت قصيدة البحتري هذه مشتملة على تراكيب نحوية شكلت بناءها اللغوي من جمل اسمية تتكون من أسماء معرفة تساعد في تأكيد حضوره ورؤيته لتلك الصورة المعبرة وتحكي واقعا له وأخرى منكرة أخذت طابع التعريف من الإضافة إلى صفة تعبر عن فكرة تكوين الصورة في خياله ثم تنقلها للمتلقي ليستحضر المشهد، وفي الجملة المسبوقة بأداة من أدوات التشبيه وهي كأن دورا في براعة ودقة وصف الشاعر للإيوان والتعبير عن فكرته .[١]

ويعد التماثل الإيقاعي في القصيدة له دورا كبيرا في دلالات بنية النص الشعري وذلك لما يمتلكه كل صوت من خصائص ذات نغم موسيقي يساعد في تحقيق التوافق الصوتي بين اللفظ والمعنى وذلك للتعبير عن فكرة الشاعر بسياق فني لديه القدرة على الجمع بين أجزاء التجربة الشعرية عند المبدع وربطها بخياله ثم التعبير عنها بجودة عالية تجعل المتلقي يتفاعل مع النص وكأنه هو قائل النص . وقد اعتمد الشاعر على التجانس الصوتي وذلك باستعمال عجيب للكلمات وتلاعب في الألفاظ والتراكيب وذلك منبع الجمال في هذه القصيدة . [٢]

ومن ذلك ما جاء في قوله :

من مشيح يهوي بعامل رمح ومليح من السنان بترس

حيث اعتمد على أسلوب الجناس في مشيح ومليح فجاء كلا اللفظين على وزن واحد واتحاد في الحروف وذلك لتحقيق الإيقاع الصوتي في البيت الشعري مع أنه تختلف هذه الألفاظ في دلالاتها ومعانيها .

---

(١) الإحساس بالجمال ،جورج سانتانا ، مرجع سابق ، ص١٩٥.

(٢) الشعر العباسي تطوره وقيمه الفنية ، محمد أبو الأنوار ،مرجع سابق، ص٣٨٨ .

وتشتمل هذه القصيدة على ألفاظ ذات قيمة عالية ترتبط بالسياق التي ترد فيه وهي ألفاظ لها دلالتها اللغوية التي توضح المعنى وقد شكل فيه الشاعر بين الترادف والتقابل واستعمال الضمائر لتنويع الخطاب في القصيدة بين الماضي والمضارع وهو من فنون القول التي تعتمد على استحضار المتلقي ونقله إلى الإيوان حيث أغلب الأبيات تأتي بجمل فعلية تساعد على الوصف والتأمل كقول تراه ورأيت .[١]

وفي قوله :

صنت نفسي عما يدنس نفسي وترفعت زعن جدا كل جبس

جاءت كلمة صن فعل ماضي مبني على السكون لاتصاله بضمير الرفع المتحرك وهو التاء والتاء ضمير متصل مبني على الضم في محل رفع فاعل وأصل الفعل صون وقد حذفت الواو لالتقاء الساكنين . ونفس مفعول به منصوب بفتحة مقدرة على اخره منعا من ظهورها اشتغال المحل وهي (السين) بحركة مناسبة وهي (الياء) والتي تقتضي كسر ما قبلها ، ونفس مضاف والياء ضمير متصل مبني على السكون في محل جر بالا ضافة . ونفسي مفعول به ويأتي مضافا ومضاف إليه والجملة الفعلية يدنس نفسي صلة الموصول لا محل لها من الإعراب ، ويلاحظ أن الإيوان قد كان حاضرا عند البحتري في خياله كما هو حاضر واقعا لذلك اتخذه البحتري قصدا فعال يتوجه به نحو موضوعه محاولا إفهامه للمتلقي عن طريق التأمل العكسي وكأنه يرمز لنفسه بهذا الإيوان . وتركيز الشاعر على استخدام كلمة نفسي والتكرار هنا يوضح حالة الشاعر وقدرته على الربط بينها وبين حالة ذلك الإيوان . ويشكل حرف السين تلائم مناسب مع البحر الخفيف ليعكس إيقاعا لفظيا يرسم جمالا فنيا للوحة خيالية تنقل المشهد وتعبر عن المعنى .[٢]

---

(١) الصناعتين ، أبي هلال العسكري ، ت البجاوي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط١، ٢٠٠٦م ، ص٢٧٦ .

(٢) الخبرة الجمالية ، سعيد توفيق ، المؤسسة الجامعية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٢م ، ص٣٢ .

وفي قوله :

وكأن الزمان أصبح محمو لا هواه مع الأخس الأخس

نجد أن الواو هنا جاءت استئنافية وكأن حرف تشبيه ونصب والزمان اسم كأن منصوب بالفتحة الظاهرة وأصبح فعل ماضي ناقص مبني على الفتح ومحمولا خبر أصبح مقدم على اسمها منصوب وهواه اسم اصبح مرفرع بضمة مقدرة على الالف منعا من ظهورها التعذر . والجملة الفعلية اصبح هواه في محل رفع خبر كأن وقد أحسن الشاعر بتقديم كأن ليعبر عن حالته بالصياغة التي تتناسب معها وتظهر قدرته الإبداعية على ذلك .

وفي قوله :

واشترائي العراق خطة غبن بعد بيعي الشام بيعة وكس

الواو استئنافية واشتراء اسم كان المحذوفة والتقدير كان اشترائي وخطة خبر كان منصوب وهو مضاف وغبن مضاف اليه و في الديوان خطة بكسر الخاء وقد يكون الأقرب للصواب خطة بالضم لأن ذلك دارج عن العربي قول خطة فلان أي طريقته.

وفي قوله :

مغلق بابه على جبل القبق إلى دارتي خلاط ومكس

نجد أن إعراب كلمة مغلق خبر مقدم وباب مبتدأ مؤخر وهو مضاف والها ضمير متصل مبني على الضم في محل جر مضاف اليه وخلاط مضاف اليه مجرور ومكس معطوف على خلاط وهما مكانان في القصر . والحائط الذي ينحدر السقف الاهليجي باتجاهه هو جبل القبق ويمينه خلاط ويساره مكس وتقديم الخبر فيه دلالة تميز البناء وخصوصيته عن غيره .

وفي وصفه البناء المعماري الحضاري الذي شيد به القصر أو الإيوان نجد أنه يشيد بالمهارة المعمارية العالية التي ابدعت في بناءه .

وفي قوله :

فإذا ما رأيت صورة أنطا كية ارتعت بين روم وفرس

وهو هنا يشير إلى كسرى أنو شروان الذي حارب الروم والفاء هنا زائدة للتوكيد ورأيت فعل ماضي مبني على السكون لاتصاله بتاء الخطاب والتي وقعت فاعلا وأنطاكية مضاف إليه مجرور بالفتحة بدل الكسرة وذلك لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة والتأنيث . وقد أشار هنا إلى صورة المعركة التي دارت بين الفرس والروم والتي كانت مرسومة على جدار القصر أو الإيوان ثم وجه الشاعر النص بصيغة الخطاب وفي ذلك إشارة وإيحاء لما كانت تمثله هذه الصورة لتلك المعركة ودلالتها على أدق تفاصيلها وأحداثها وجودة ابداعها لتحكي واقع المعركة وكأن السامع لهذه الأبيات وهي تعبر عنها قد شاهد المعركة حقيقة حيث أجاد البحتري في نقل هذه الصورة إلى ذهن السامع من خلال رسمه لها بألفاظ وتراكيب وعبارات شكل من خلالها لوحة فنية عالية الجودة .

وقد كانت للبحتري طريقة رائعة في وصفه وكان خياله واسع في كيفية إيصال هذه الصورة إلى ذهن السامع حيث استخدم أساليب خبرية تساعد في إظهار الإعجاب بهذه الرسمة التي كانت على الإيوان .

وفي قوله :

في اخضرار من اللباس على أصفر يختال في صبيغة ورس

والورس هو شجرة تنبت في بلاد العرب تستخدم لتلوين الملابس ، وقوله في اخضرار جار ومجرور في محل نصب حال سد مسد الخبر، وقوله أصفر صفة نابت عن موصوف ، وهو نعت لجواد وقد وقع مجرور وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه صفة مشبهة بالفعل على وزن أفعل فعلاء .

وفي قوله :

وعراك الرجال بين يديه في خفوت منهم وإغماض جرس

نجد أن الهاء هنا عائده على الجواد وفي ذلك وصف لهيئة الجواد في المعركة والذي شاهده في صورة معركة انوشروان والتي رسمت على جدار الإيوان وهو هنا يصور حركة ذلك الجواد ليجعل السامع يتفاعل مع المشهد وكأنه شاهد تلك الصورة . و بلا شك فإن قدرة الشاعر على الجمع بين العلاقات والربط بين هذه العلاقات بألفاظ ذات دلالات تجعل الشعر في اللغة الواحدة يشكل إبداعا يحسن فيه التأليف ويزيد فيه المعنى وضوحا وتكون الألفاظ فيه لها رونقها الخاص وهو أمر يتميز فيه عن غيره ويتضح في البيت السابق جودة التأليف وقوة التعبير وقد أشاد الآمدي في هذا البيت وأشار إلى خصائص الشعر الجيد والتي يختص بها شعر البحتري فقال:(١)

(وحسن التأليف وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهاء وحسنا ورونقا حتى كأنه قد أحدث فيه غرابة لم تكن وزيادة لم تعهد وذلك مذهب البحتري ...)

وفي قوله :

وتوهمت أن كسرى أبرويز معاطي والبلهبذ أنسي

وكسرى أبرويز هو حفيد كسرى أنوشروان وكسرى اسم إن منصوب بفتحة مقدرة وأبرويز بدل من كسرى منصوب بالفتحة الظاهرة .ومعاطي خبر إن مرفوع بضمة مقدرة على الياء . والجملة الاسمية في تأويل مصدر مفعول به للفعل توهمت والبهلبذ مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة وأنس خبر مرفوع بالضمة المقدرة ويمكن أن يكون البهلبذ بالفتح على التقدير فتكون اسم لأن ويكون أنس خبرها مرفوع بالضمة .

وفي قوله:

وكأن الإيوان من عجب الصنعة جوب في جنب أرعن جلس

---

(١)الآمدي ، أبو القاسم الحسن بن بشر ، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، ت أحمد صقر دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٥م ، ص٥٣ ،٥٥ .

يعني بذلك أن الإيوان يمثل تحفة حضارية وقد أخذ من دقة التصميم المعماري ميزة له .

وقوله :

مشمخر تعلو له شرفات رفعت في رؤوس رضوى وقدس

نجد مقابلة بين علو القصر وارتفاعه وهي مقابلة ضدية ثنائية بين العلو والنكس أي أنه مرتفع وله شرفات محلاة وكلمة قدس المراد به جبل عظيم والشاعر هنا يشبه القصر بذلك الجبل في ارتفاعه ومكانته . وقد جاء الفعل تعلو مضارع مرفوع بالضمة المقدرة على الواو . والقول في جملة تعلو له شرفات في موضع نصب حال الضمير في مشمخر العائد إلى الإيوان .

وقوله :

ليس يدرى أصنع إنس لجن سكنوه أم صنع جن لإنس

جاءت كلمة يدرى فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع بالضمة المقدرة على الألف ونائب الفاعل ضمير مستتر يعود إلى الصنع والهمزة في قوله أصنع للاستفهام والتساؤل هنا فيه تقريرمباشر يعني أنه إذا كانت الإنس بنته فإن الجن سكنته وذلك لخلوه من الساكنين وإن كانت الجن بنته فهو لجودته وإتقانه يتفوق في ذلك على صناعة بني البشر.

وهو في هذا البيت يتوافق في المعنى وتركيبه النحوي و السياقي مع بيت في لامية الشنفرى والذي يقول فيه :

فإن يك من جن لأبرح طارقا وإن يك إنسا ماكها الإنس تفعل

وفي قوله :

وكأن القيان وسط المقاصير يرجحن بين حو ولعس

فإن القيان جمع قينة وهي المغنية والمقاصير جمع مقصورة وهي التي يقفن فيها المغنيات وقد جاء هذا البيت في الديوان بكلمة يرجحن فعل مضارع مبني للمجهول ثم ذكر في الهامش بأن المعنى يملن بالأرجوحة .

ويرى الباحث من خلال السياق وارتباط دلالات الألفاظ بأنه قد يقصد الشاعر كثرة القيان وتنوع ألوانهن وأشكالهن في المقصورة بين حو ولعس وهي ألوان تلك القيان فمنهن السمراء على اخضرار ومنهن السمراء على احمرار وهي ألوان عرفن بها المغنيات في ذلك الوقت لذلك نجد أن كلمة يرجحن أقرب إلى معنى التمايز والترجيح والتفضيل منها إلى التمايل في الأرجوحة كما ذهب إليه بعض النقاد وذلك باعتبار أن الصواب في كلمة يرجحن البناء للمعلوم وذلك بكسر الجيم لكن سياق البيت الشعري ولغة الخطاب ترجح الرأي الأول وهو رأي الباحث في ذلك .[١]

وقد استخدم البحتري في سينيته ألوانا من البديع التي طرز فيها أبياته ليبلغ غاية في الطرافة دون الغوص في الغموض الذي عرف فيه عصره نتيجة لامتزاجه مع غيره من حضارات الأمم الأخرى ولا سيما الفارسية والتي يتضح أثرها في فكر شعراء العصر لعباسي اللذين عمدوا الى التصنيع . أما هذه القصيدة فقد جاء بها البحتري بصور فنية أبدع فيها واعتمد في صياغتها على أروع التشبيهات وأبلغ الاستعارات وذلك من خلال المقارنة بين حضارة العرب وحضارة الفرس وقد وصف الشاعر الإيوان وصفا يظهر ذوقا فنيا وقدرة إبداعية عالية في اختيار الألفاظ المتشابهة في الموسيقى والمختلفة في الدلالة لتعبر عن فكرة واحدة .

وقد تميز الشاعر بالنسق التركيبي في عبارات هذه القصيدة وذلك لنقل المضامين التي يرغب في إيصالها للمتلقي وذلك يتطلب مستوا نحويا عالي يستطيع من خلاله الربط بين العلاقات اللغوية التي لديها القدرة على الجمع بين الأشياء .

---

(١) البحتري ، أبو عبادة البحتري ، ديوان البحتري ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٨٣م ، ص٢٠٩ ، البحتري ،و تحقيق حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف ، مصر، ١٩٦٣م ، ص١١٥٢.

وفي قوله :

حلل لم تكن كأطلال سعدى في قفار من آلساسان ملس

نجد أنه في هذا البيت يستند على التشبيه حين أراد وصف حضارة آل ساسان والتي مثلها هذا الإيوان و ما كانت عليه من الروعة والبهاء والجمال وقد قارن بينها وبين حضارة العرب عن طريق إظهار صورة مغايرة لها باستخدام أسلوب الضدية وذلك لتأكيد وصفه الإيوان بالحسن حيث أن الحسن يظهر حسنه الضد والمعنى هنا أفاده نفي التشبيه باستخدام أداة التشبيه كأن المسبوقة بأداة النفي لم .[١]

وكذلك في قوله :

وكأن الإيوان من عجب الصنعة جوب في جنب أرعن جلس

فهو هنا يصف الإيوان ويشبهه في عجيب صنعته بين غيره من القصور بالجوب وهو الترس الصغير الذي يكون بين الجبال العظيمة .

وفي قوله :

تماسكت حين زعزعني الدهر التماسا منه لتعسي ونكسي

نجد أن الشاعر قد اعتمد على الاستعارة في رسم صورته الشعرية حيث شبه الدهر بالطاغية الذي يحاول أن يسعى إلى إذلال الشاعر وزعزعته وقد حذف المشبه به وأبقى لازما من لوازمه وهو الزعزعة .

ومن منطلق اختلاف مفهوم الواقعية والخلط بينه وبين صدق الالتزام والذي دعا إليه النقاد نجد أن البحتري قد تغلبت عليه الازدواجية في عمله الفني هذا بين إعمال الفكر والتعبير عن العاطفة فجمع بين الضدين للتخلص من مبدأ الازدواجية معبرا عما يراه بكل وضوح وصدق حتى أنه قد جعل من ذلك مرجعا يعبر عن حقائق ترسم حضارة أمة أخرى نقلها عن تلك الصورة التي وجدها على ذلك

(١) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، شوقي ضيف ، ط١٠ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨م ، ص٨١ .

الإيوان ولا غرابة فهو وصافا مشهورا بوصفه البارع للعمران والطبيعة والقصور ويجيد في تصويرها دقة وإبداعا ويتضح من خلال قصيدته هذه أن قياس الصورة عند البحتري له ارتباط وثيق بقدرته على نقل الفكرة إلى المتلقي وكذلك هو مقياس حقيقي لتميزه في بناء القصيدة بناء فنيا يمزج بين الفاعل القائم بين عقله ووجدانه .(١)

وبذلك استطاع البحتري أن يأتي بنمط تصويري جديد اعتمد على الصوت والحركة في نسج خياله الشعري وتقريبه من المتلقي ليشاهد المشهد من خلال الكلمات أي تحويله اللوحة الفنية المرئية إلى لوحة فنية مسموعة .

وكل ذلك يرجع في أصله إلى جوهر اللغة حيث إن لغة الشعر بكثافتها الفنية هي التي تمكن المبدع من الجودة في تركيب تصوراته في صياغة فنية عالية وقد أقر للبحتري في ذلك كبار النقاد وكذلك الشعراء فأشادوا به وفي إمكاناته اللغوية العالية التي مكنته من سبك عبارات شعره بأسلوب شعري مميز بديباجته الخاصة التي لفتت انتباه النقاد فقارئ قصيدة البحتري هذه يلحظ فيها نوعا من الإيحاء الفني الذي يشد القارئ إلى الغوص في معاني هذه القصيدة وذلك لأنه لم يسلك مسلك المغالاة في ذلك في الفلسفة والمنطق في أفكاره ولا البديع في ألفاظه بل كان وسطا جمع ما بين هذا وذاك حتى جاء بمنهج خاص ميز شاعريته وارتقى في شخصيته .(٢)

وقد أكثر البحتري من فن التشبيه في مواضع الوصف وذلك لتمكنه من هذا الأسلوب البياني وقدرته على تجسيد مشاعره لتؤدي وظيفتها الجمالية في تكوين صوره الفنية وقد تنوع في ذلك بين التشبيه المتعدد والتشبيه التمثيلي وذلك بالتعبير عن فكرته بتشبيه صورة بصورة أخرى بتركيب فني متكامل يربط بين

---

(١) أحمد الشايب ، الأدب وفنونه ، دار النهضة المصرية ، ط٦ ، ١٩٦٦م، ص٢٣٩ .

(٢) أحمد بدوي ، البحتري ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٥ ،١٩٦٤م، ص١٩.

التشبيهات الجزئية ليكون تلك الصورة التمثيلية التي تقرب المعنى إلى ذهن المتلقي .

وهو من الظواهر الفنية في شعر البحتري والتي تحدد المعنى المراد تحديدا دقيقا يوضح الفكرة دون غموض .[١] وحين يعمد البحتري إلى أسلوب الاستعارة إنما يكون ذلك للمبالغة في تحقيق المعنى المراد بطريقة أكثر عمقا في دلالتها على ارتباط المشبه بالمشبه به من خلال وجه الشبه . وقد مكن الشاعر في ذلك ذوقه الراقي وعلمه الواسع ومعرفته الكبيرة والتي غذت خياله المفعم بالقوة ليشكل تلك الاستعاراة الثرية العميقة التي تميزت بدقة الوصف . [٢]

ومن يقف عند هذه القصيدة يجد أن الشاعر قد اعتمد على السرد الحكائي في نمط الخطاب الشعري للقصيدة وذلك يتضح من خلال وصفه معركة انطاكية ونقلها عن تلك الصورة التي وجدها على الإيوان مع صعوبة ذلك حيث استطاع الجمع بين صيغتين للخطاب وذلك للتعبير عن العلاقة بين زمن القصة وزمن الخطاب .

ويمكن الكشف عن ذلك من خلال المنهج التحليلي الذي أشار إليه جيرار جينت في نظريته حول خطاب الرواية .[٣]

وذلك لمعرفة الأسلوب الخطابي الذي اعتمده البحتري في سرد أحداث معركة انطاكية ونقلها للمتلقي ثم الانتقال الى وصف الإيوان والإشادة بحضارة الفرس من خلال لغة خطاب متنوعة يتطلب المشهد الشعري أن تسير عليه.[٤]

---

(١) إسماعيل عز الدين، في الأدب العباسي، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٥م، ص١٩٥.

(٢) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، شوقي ضيف، مرجع سابق، ص٧٠ .

(٣) الصورة الشعرية ، سي دي لوس، ت أحمد ناصف، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٦م ، ص٤١ .

(٤) عصفور جابر ، الصورة الفنية في التراث النقدي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط٣، ١٩٩٢م ، ص٧٠.

وقد أشار البحتري في قصيدته هذه إلى أحداث تاريخيةعن طريق الحذوف السردية .فجاءت قيمة اللفظة في القصيدة مرتبطة بالسياق وهي تحمل دلالات خاصة تعبر عن المعنى من خلال الترادف والتقابل ومن ذلك قوله تعسي ونكسي وقوله أسلي وآسي ولم يكثر الشاعر من التقديم والتأخير في قصيدته وذلك قد يكون لقدرته على انتقاء ألفاظه بما يتوافق مع سياقه الشعري وتكوينه اللغوي .

ويميز هذه الأبيات تركيبها النحوي الذي يعتمد على الروابط النحوية مثل حروف العطف والضمائر وأسماء الإشارة وكذلك الالتزام بالجوانب الأسلوبية من خلال التنويع بين الجمل الفعلية والجمل الاسمية وصيغ الخطاب .(١)

ويلاحظ قارئ سينية البحتري أنها قد بدأت في وصف معركة انطاكية وذلك من خلال تجسيد هذه المعركة لصورة شكلية على جدران الإيوان استخدم فيها البحتري كل حواسه ليعبر عن اللون والحركة والصوت ويعيد رسم الصورة عن طريق استنطاق الصورة البصرية ونقلها إلى صورة لفظية خيالية من الإيوان إلى ذهن المتلقي .

ثم بعد ذلك انتقل الشاعر إلى توهم حاضر للأحداث التي حدثت في هذا الإيوان من خلال وصفه الإيوان وما فيه من قيان ثم إلى جودة ذلك البناء .

ولا غرابة فقد برع البحتري في الوصف فألف بين أجزاء موصوفه ليظهر جماله وقد عمد في ذلك شاعر الداريات كما يحلو لناقديه إلى المزج بين ريشة رسمه الماهرة وملكته اللغوية البارعة مستعينا بما دق في ذهنه من معنى لطيف بلوره خياله الخصب إلى صورة تشبيهية رقيقة قوامها اللفظ الرشيق والأسلوب الأنيق وتظهر في تشبيهاته قوة وفخامة الحياة العباسية التي عاشها من خلال وصف دقيق يدل على براعة عالية وذوق مميز يوحي بعقلية هندسية متمكنة قدمت لنا لوحة فنية ناصعة ترسم لنا ذلك الإيوان رسما تفصيليا يوضح لنا

(١) الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي ، محمد الولي ، المركز الثقافي العربي ، ١٩٩٠م ، ص٢٠ .

مايحويه .[١] ونجد أن البحتري قد اعتمد في ذلك على الاستقصاء في تشبيهه حيث يستقصي الصورة مشبها لها بحال المشبه به وأن كل واحدة لها بلونها جمالا خاصا مميزا لها وفي توظيف اللون في شعره دلالة على حضارة عالية جمعت بين الرفاهة المادية والملكة العقلية والذائقة النقدية وقد يكون ذلك نتيجة لامتزاج الثقافة العربية مع غيرها من ثقافات الأمم الأخرى .[٢]

وما اكتسبه الشاعر من هذه الثقافة من إطناب في الكلام هو ما دفعه إلى التفصيل في التشبيه وذلك من أجل اكتشاف جمال جزئيات الشيء وإبراز خفاياه .

وقد كان تركيز البحتري في وصفه للمعركة منصبا على وصفها في حال الحركة والذي يعده النقاد من بديع التشبيه ونادره وأن فيه قدرة إبداعية تعتمد على دقة الملاحظة . وقد تمثل ذلك في تشبيهاته ومطابقاته ومقابلاته . [٣]

وفي قوله :

فهو يبدي تجلدا وعليه كلكل من كلاكل الدهر مرس
لم يعبه أن بز من بسط الديباج واستل من ستور الدمقس
مشمخر تعلو له شرفات رفعت في رؤوس رضوى وقدس

نجد أن صوره قد جاءت مرتبطة بالمدنية العباسية وقد قدم فيها لمحة تاريخية عن واقع حياة مترفة جمع فيها بين رقة الإحساس وبحر الخيال وذلك من خلال وصف تجلد ذلك الإيوان واحتفاظه بهيبته وروعته رغم تعريه من فخامة بسط الديباج ونفاسة استار الدمقس ويشبهه بالإنسان الذي تظهر عليه علامات التآكل والحماس لشدة ما هو فيه .

---

(١) الشعر والشعراء في العصر العباسي ، الدكتور مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين ، بيروت، ط٨ ، ص٧١٥،٧١٧.

(٢) بناء الصورة الفنية في البيان العربي ، الدكتور كامل حسن البصير ، المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٧م ، ص٢٩٢ .

(٣) الشعر والشعراء ، مصطفى الشكعة ، مرجع سابق ص٧١٨ .

وفي قوله :

لابسات من البياض فما تبصر منها الا غلائل برس

شبه الشاعر صورة شرفات ذلك الإيوان المرتفعة بصورة الفتيات الجميلات اللاتي جلس بعضهن إلى بعض وقد حذف صورة المشبه واكتفى بذكر صورة المشبه به وذلك على سبيل الاستعارة التمثيلية .

وفي قوله :

وهم خافضون في ظل عال مشرف يحسر العيون ويخسي

نجد أن في قوله هم خافضون كناية عن صفة الاطمئنان في رغد العيش وفي قوله ظل عالي كناية عن صفة علو القصر وشدة ارتفاعه .

وقد استخدم البحتري ألفاظا تدل على شدة إعجابه بالإيوان وتأمله بدقة إبداع صناعته مثل بسط الديباج وستور الدمقس وهي ألفاظ فارسية وتعد هذه القصيدة أول قصيدة تهتم بوصف آثار الحضارة وذلك بوصف جميع ما يحتويه الإيوان من نقوش وارتفاع وجودة بناء وكذلك تشخيص الجوامد واستنطاقها للتعبير عن صورة ذهنية أرادها المبدع . ويتضح من خلال ذلك أن الوضع الاجتماعي وتأثر الشاعر بثقافة عصره كان له أبلغ الأثر في تطور مكونات الصورة من معان وألفاظ وخيال وموسيقى وما يميز الشاعر البحتري أنه لم ينصرف عن لغة الشعر القديم وإنما عمد إلى الجمع بين اللغة القديمة واللغة الجديدة بأسلوب جميل جزل سهل يؤدي المعنى بشكل دقيق .[١]

(١) الشعر العباسي تطوره وقيمه الفنية ، مرجع سابق ،ص٣٨٨ .

الخاتمة

الحمدلله الذي وفق لإكمال هذا العمل وفيما يلي أبرزالنتائج التي توصل لها الباحث :

أولا:

أن لغة الشاعر تأثرت بفعل ارتباطه الوثيق بالبيئة وما جد فيها من مظاهر مادية وثقافية وما يميز البحتري عن غيره أنه استطاع الجمع بين اللغة القديمة واللغة الجديدة حيث أن الوضع الاجتماعي وما تأثر به الشاعر من العلوم كان له دور في تطور اللغة والألفاظ والمعاني والخيال والموسيقى وهي مكونات الصورة الفنية التي يعتمد عليها المبدع .

ثانيا :

أن خيال الشاعر قد اتسم بالسعة والثراء بما لم يعهد له من قبل حيث أبعد على نفسه في الصورة وجاء بها أكثر تعقيدا .

ثالثا:

أن شعره في هذه القصيدة استحوذ على أسرار غامضة جعلت المتلقي يسير مع خيال الشاعر ليصل إلى المعنى وذلك من خلال اعتماده على الرمز في قصيدته.

رابعا :

أنه اتسم شعر البحتري في هذه القصيدة بالدقة في التصوير والجودة في التحليل والبراعة في التقسيم و العمق في المعنى .

خامسا :

أن الشاعر قد اعتمد على توظيف اللون والحركة والهيئة في تركيب صوره والتعبير عن المعنى .

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

المراجع :

١. ضيف، شوقي ، في النقد الأدبي ، دار المعارف ، مصر ، ط٩ ،١٤٢٧.
٢. عياد ، شكري ، موسيقى الشعر الاعربي ، دار المعرفة ، مصر ، ط٢ ، ١٩٩٨ .
٣. الإحساس بالجمال ،جورج سانتانا ، ترجمة محمد مصطفى بدوي ، مكتبة الأنجلو المنصرية ، القاهرة ، ١٩٨٤م .
٤. الشعر العباسي تطوره وقيمه الفنية ، محمد أبو الأنوار ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٧م .
٥. الصناعتين ، أبي هلال العسكري ، ت البجاوي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط١، ٢٠٠٦م .
٦. الخبرة الجمالية ، سعيد توفيق ، المؤسسة الجامعية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٢م .
٧. الآمدي ، أبو القاسم الحسن بن بشر ، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، ت أحمد صقر دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٥م .
٨. البحتري ، أبو عبادة البحتري ، ديوان البحتري ، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٣م .
٩. البحتري ، ديوان البحتري ، ت حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٣م .
١٠. ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، دار المأمون ، القاهرة ، ج١٩ ، ١٩٢٢م .
١١. أحمد الشايب ، الأدب وفنونه ، دار النهضة المصرية ، ط٦ ، ١٩٦٦م.
١٢. أحمد بدوي ، البحتري ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٥ ،١٩٦٤م.
١٣. إسماعيل عز الدين ، في الأدب العباسي ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٥م.

١٤.الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، شوقي ضـــيف ، ط١٠ ، دار المعـــارف ، القاهرة ، ١٩٧٨ م .
١٥.عصفور جابر ، الصورة الفنية في التراث النقدي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٢م .
١٦.الشعر والشعراء في العصر العباسي ، الدكتور مصطفى الشـــكعة، دار العلـــم للملايين ،بيروت ، ط٨، ١٩٩٥م .
١٧.بناء الصورة الفنية في البيان العربي ، الـــدكتور كامـــل حســـن البصـــير ، المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٧م .
١٨.الصورة الشعرية ، سي دي لوس، ت أحمد ناصف، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٦م .
١٩.الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي ، محمـــد الـــولي ، المركـــز الثقافي العربي ، ١٩٩٠م .

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

٥٠٠٢

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

فهرس الموضوعات

م	الموضـوع	الصفحة
١-	ملخص	٤٩٨١
٢-	Abstract	٤٩٨٢
٣-	المقدمة	٤٩٨٣
٤-	تحليل سينية البحتري :	٤٩٨٤
٥-	الخاتمة	٤٩٩٩
٦-	المراجع :	٥٠٠٠
٧-	فهرس الموضوعات	٥٠٠٢

تم بحمد الله